

الدّين البهائيّ



المعبد البهائيّ في نيو دلهي

الدّين البهائيّ

الجامعة البهائيّة العالميّة

Bahá'í International Community

P. O. Box 2562, London W5 3ZB

United Kingdom

1994

المحتويات

٥	مقدمة
٩	من مبادئ الدين البهائيّ
٩	وحدة الأديان
١٠	السعي إلى الكمال
١٠	توافق العلم والدين
١١	نبذ التّعصبات
١٢	وحدة الجنس البشريّ
١٣	التّضامن الاجتماعيّ
١٣	مساواة حقوق الرّجال والنساء
١٤	النّظم البديع
١٦	من تاريخ لدين البهائيّ
١٧	رسالة البشر أو البايّة
٢٢	طلعة الظهور أو البهائيّة
٢٨	العهد والميثاق
٣٤	ولاية الامر
٣٥	شهادة المنصفين
٣٨	من آثار بهاء الله
٤٣	مصادر المقتطفات

الدِّينُ البهائيّ

مقدمة

الدِّينُ البهائيّ هو أقرب الأديان السّماويّة عهداً، ويشترك معها أساساً في الدّعوة إلى التّوحيد، ولكّنه دين مستقل له كتبه المقدّسة ومبادئه وأحكامه، دعا إليه ميرزا حسين على التّوري ولقبه بهاء الله، بعد أن أعلن بعثته في ربيع ١٨٦٣، وفقاً لما بشر به من قبل السيّد على محمد، ولقبه الباب، في عام ١٨٤٤. يختلف انتشار الدِّين البهائيّ باختلاف المجتمعات، ولكن ما ينفرد به هو القبول العام المطلق لمبادئه وتعاليمه، فالملايين التي تؤمن به اليوم تمثّل مختلف الأجناس، والأعراق، والجنسيّات، والثّقافات، والطبقات، والخلفيّات الدّينيّة. ومنهم تتألّف جامعة عالميّة موحدة، تحظى باحترام وافر في المجالس الدّوليّة، وتنتشر، بوصفها منظمة عالميّة غير حكومية، في نشاط هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة.

تتميز تعاليم الدِّين البهائيّ بالبساطة والوضوح، وتركّز على الجوهر، وتبعد عن الشكليّات، وتحت على تحرّي الحقيقة، وتنادى بنبذ التقليد والأوهام، وتهتم بنقاء الوجدان، وتتشد السعادة الحقّة في السموّ الرّوحاني، وتعلن أن الدِّين سبب انتظام العالم واستقرار المجتمع، وتتشد الحرية في الامتثال لأحكام الله، وتشتترط أن تكون أقوال الإنسان وأعماله مصداقاً لعقيدته ومرآة لإيمانه، وترفع إلى مقام العبادة كلّ عمل يؤدي بروح البذل والخدمة، وتعتبر الفضل في الخدمة والكمال لا في حبّ الرّينة والمال، وتدعو للصّح والإصلاح، وتنادى بنزع السّلاح، وتروم تأسيس الوحدة والسّلام بين الأمم، وترى إن كان حبّ الوطن من الايمان فمن الأوّلى أن يكون كذلك حبّ العالم وخدمة الإنسان.

لا وجود في الدِّين البهائيّ لكهنة، ولا رهبان، ولا رجال دين، ولا قديسين، ولا أولياء. والعبادة فيه خالية من الطّقوس والمراسم، وتؤدي صلّاته على

انفراد. وتميل أحكامه إلى التهذيب النفس أكثر منها للعقاب، وتجعل أساس الطاعة هو حبّ الله. وتسهر على رعاية شئون أتباعه هيئات منتخبة هي المحافل الروحانيّة، وعلى راسها مجاس أعلى هو بيت العدل الأعظم. ويقع مركزه العالميّ بالقرب من أماكنه المقدّسة في مدينتي حيفا وعكا، حيث نقل رفات الباب، وحيث سجن ودفن بهاء الله عام ١٨٩٢^١.

يعترف الدّين البهائيّ بأن كلّ الأديان السّابقة سماويّة في أصلها وفي أهدافها، متكاملة في وظائفها، متّصلة في مقاصدها، جاءت جميعها بالهدى لبني الإنسان. ولا يخالف الدّين البهائيّ في جوهره المبادئ الروحانيّة الخالدة التي أنزلت على الأنبياء والرّسل السّابقين، وانما تباينت عنها تعاليمه وأحكامه وفقا لمقتضيات العصر ومتطلبات الرقيّ والحضارة، وأنت ما يجدّد الحياة في هياكلّ الأديان، وهيأت ما يزيل أسباب الخلاف والشقاق، وأنت بما يقضى على بواعث الحروب، وظهرت ما يوفّق بين العلم والدّين، ومساوات حقوق الرّجال والنساء توطيدا لأركان المجتمع. هذا بعض ما يقدمه الدّين البهائيّ لإنقاذ عالم مضطرب وحماية إنسانيّة محاطة بخطر الفناء، ما لم يتجدّد تفكيرها وتتطوّر أساليبها لتتمشّي مع احتياجات عصر جديد.

إنّ مبادئ وأحكام الدّين البهائيّ التي أعلن عنها بهاء الله، إنّها السّبب الأعظم والدرياق الاتم لنجاة البشر واتّحاد العالم، قد أثبتت خلال القرن الأوّل لهذا الدّين، قدرتها لتحقيق غاياتها: فقد أدت إلى تطوير أفكار النّاس، وتقويم سلوك الملايين من أتباعه وألّف منهم، مع تباين أعراقهم، وثقافاتهم، وبيئاتهم، ومكاناتهم، وثرواتهم، وسابق معتقداتهم، جامعة إنسانيّة لا شريقيّة ولا غربيّة، متّحدة في مثلها ودوافعها وأهدافها، دائبة السّعي لرعاية مصالح الإنسانيّة جمعاء، بغض النّظر عن اختلاف الدّين والرّأي والتّفكير.

كما أظهرت الهيئات الإداريّة لهذا الدّين، رغم حداثة عهدها، أمانة ونزاهة في قيادتها، ورشدا في تدبيرها، وحنكة في تخطيطها، وتمتعت بتأييد

^١ ارجع إلى عكا في الجزء المتعلق بالتاريخ

الخاضعين لها، وسعت لحلّ مشاكلّ المجتمعات التي وجدت فيها، وجهدت في معاونة الكثير من المجتمعات المختلفة في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية في جميع أنحاء العالم، وقدمت حلولاً عملية للمشاكل المعضلة التي تواجه زماننا. إنّ هذا النظم الجديد المتدفق بالثقة والحيوية، والقادر على مواجهة المشاكل، والوفاء بالأمال المعقودة عليه، هو نظم توقّرت فيه عناصر الصّلاحية والكفاءة والنّجاح، ودلّل على أن تحديات العصر ومشاكله لا يتسنى مجابتهها إلاّ ببعث روحانيّ، وإحياء فكريّ، لا يتحقّقان إلاّ برسالة سماوية جديدة.

فالأديان أمّ الحضارات ونبع الفضائل والكمالات. وتتابعها هو الذي مهد طريق الرقيّ الفكري، والسموّ الخلقى، والتقدم الاجتماعي الذي سلكته شعوب الأرض عبر أحقاب التّاريخ. فما من حضارة خلت من هذا الجوهر الذي أمدها بالقدرة والحيوية والإلهام، وقاد أهلها إلى أوج المجد ومعارج الابتكار، ولكن إلى حين. إنّ استمرار تعاقب الأديان ليس مجرد ظاهرة مطّردة سجلها التّاريخ فحسب، وإنّما هو العروة الوثقى التي تربط الإنسان بفاطره. والقوّة التي تواصل إنماء خصائصه، والنّهج القويم الذي يضمن له بلوغ الغاية التي خلق من أجلها، والشراب الذي يمد وجدانه بما يرقى بأدنى غرائزه إلى افلاك المثل العليا، والربيع الذي يجدد فيه روح البطولة والبذل والعطاء ويمدّد من حين إلى حين بالطاقة الروحانية اللاّزمة لأنماء المواهب الكامنة في ذاته.

وتصوّر انتهاء هذه المصادر للقوى المعنوية تصوّر تقليدي ردّه اتباع كلّ الدّين، بدافع الولاء والإخلاص، واستندوا إلى روايات حملوها أكثر مما تحتمل، ولكن حقيقة الأمر أنّ هذا التّصوّر لا يعتمد على فهم صحيح لمعاني الكتب السماوية، ولا يستند إلى حقيقة علمية، ولا يستقيم مع الغايات التي تتوخاها الأديان، ولا يصمد للتّحليل والبحث المنزّهين عن التّعصب والتّزمت.

إنّ المسلّمات القديمة التي يطرحها الدّين البهائيّ على بساط البحث من جديد، والمفاهيم الواضحة التي يقدمها لمن يعينهم دراسة الأديان على أسس جديدة، والحلول التي يقدّمها لإعادة تنظيم الحياة الفردية والجماعية على

سواء، تفتح أمام المتطلّعين لغد أفضل آفاقا فسيحة لما يمكن ان يقود العالم إلى التّعاون والوحدة والاتّفاق.

لا يمكن لمحاولة عاجلة كهذه للتعرف بالحقائق الأساسية للدين البهائيّ إلا ان تكتفى بموجز لبعض المبادئ التي تدور حولها تعاليمه وأحكامه، ونزر يسير من أحداث تاريخه، وعرض سريع لآراء بعض من عرفوه عن كُتب، ومقتطفات وجيزة من نصوصه وآياته. هذا ما ستسعى لتقديمه الصفحات التالّية، في جهد متواضع لا يكاد يفي بالغاية، ولكن الأمل معقود على أن يكون فيما تعرضه ما يحث القارئ على مداومة البحث بدافع المسؤولية والسعي وراء الحقيقة.

من مبادئ الدين البهائيّ

نعنى بالمبادئ تلك الأصول المستخلصة من الآيات والألواح المنزّلة في هذا الدّور الجديد، والتي يعتبرها البهائيّون هاديا لهم وتوجيها إلهيا يحدّد معالم الشّوط الحالي من المسيرة الإنسانيّة، ويجدون فيها الأساس الذي ستشاد عليه الحضارة العالميّة المقبلة. فالمبادئ بهذا التّصوّر هي بمثابة أهداف تدور حولها وتُسدّد إليها جهود وموارد وإمكانات كلّ من الأفراد والجماعات على السواء. ويضع البهائيّون مبادئ وأحكام دينهم موضع التّنفيد، ويركزون جهدهم لتحقيق مضمونها في حياتهم اليوميّة، وهذا ما يميّز هذه المبادئ عن الشّعارات الجذّابة التي تزخر بها أقوال فلاسفة ومفكري هذا العصر، دون أن نلمس لها أثرا يذكر في الحياة العمليّة.

من المبادئ التي جاء بها الدين البهائيّ مبدأ وحدة الأديان ودوام تعاقبها. وينطلق هذا المبدأ من حقيقة ما فتنّت تزداد وضوحا، وهي أنّ الأديان واحدة في أصلها وجوهرها وغايتها، ولكن تختلف أحكامها من رسالة إلى أخرى تبعا لما تقتضي الحاجة في كلّ زمان، وفقا لمشكلات العصر الذي تبعث فيه هذه الرّسالات للبشريّة في كلّ طور من أطوار تقدّمها، مطالب وحاجات تتناسب مع ما بلغته من رقيّ مادي وروحانيّ. ولا بدّ من ارتباط أوامر الدين ونواهيه بهذه الحاجات والمطالب. فالمبادئ والتّعاليم والأحكام التي جاء بها الأنبياء والرّسل، كانت بالضرّورة على قدر طاقة النّاس في زمانهم وفي حدود قدرتهم على استيعابها. وإلاّ لما صلحت كأداة لتنظيم معيشتهم والنّهوض بمداركهم في مواصلة التّقدم نحو الغاية التي توخّاها خالقهم.

يؤمن البهائيّون إدا بأنّ الحقائق الدّينية نسبيّة وليست مطلقة، جاءت على قدر طاقة الإنسان وإدراكه المتغيّر من عصر إلى عصر. لا على مقدار علم أو مكانة الأنبياء والمرسلين. ويؤمن البهائيّون أيضا باتّحاد الأديان في هدفها ورسالتها، وفي طبيعتها وقداستها، وفي لزومها وضرورتها، ولا ينال من هذه الوحدة، كما رأينا، تباين أحكامها واختلاف مناهجها. لهذا لا يزعم

البهائيون أن دينهم أفضل الأديان أو أنه آخرها، وإنما يؤمنون أنه الدين لهذا العصر، الدين الذي يناسب مدارك ووجدان الإنسان في وقتنا وزماننا، والدين الذي يعدّ إنسان اليوم لإرساء قواعد الحضارة القادمة، وفي هذا وحدة تتلخّص علّة وجوده وسبب اختلاف أحكامه عن أحكام الأديان السابقة.

ومن مبادئ الدين البهائيّ السعي إلى الكمال الخلفي، فالغاية من ظهور الأديان هي تعليم الإنسان وتهذيبه. ما من دين حاد عن هذا الهدف الجليل الذي ينشد تطوّر الإنسان من كائن يحي لمجرد الحياة ذاتها، إلى مخلوق يريد الحياة لما هو أسمى منها ويسعى فيها لما هو أعزّ من متاعها وأبقى، إلا وهو اكتساب الفضائل الإنسانيّة والتخلّق بالصفات الإلهيّة تقرباً إلى الله. والقرب إليه ليس قرباً مكانياً أو زمانياً، ولكن قرباً مشابهة والتحلّي بصفاته وأسمائه. ويفرض هذا المبدأ على البهائيّ واجبين: واجبه الأوّل السعي الدائب للتعرف على ما أظهر الله من المشرق وحيه ومطلع إلهامه. وواجبه الثاني أن يتبع في حركته وسكونه، وفي ظاهره وباطنه ما حكم به مشرق الوحي. فالعمل بما أنزل الله هو فرع من عرفانه، ولا يتمّ العرفان إلاّ به. وليس المقصود بعرفان الإنسان إلى صفات الله النّصوّر الذهنيّ لمعانيها، وإنما الاقتداء بها في قوله وعمله وفي ذلك تتمثّل العبوديّة الحقّة لله تنزّه تعالى عن كلّ وصف وشبه ومثال.

ومن مبادئ الدين البهائيّ ضرورة توافق العلم والدين. بالعلم والدين تميّز الإنسان على سائر المخلوقات، وفيهما يكمن سر سلطانه، ومنهما انبثق النور الذي هداه إلى حيث هو اليوم، وما زال يمدّانه بالرؤية نحو المستقبل. العلم والدين سبيلان للمعرفة. فالعلم يمثل ما كشفه عقل الإنسان من القوانين التي سنّها الخالق لتسيير هذا الكون، وأداته في ذلك الاستقراء: فيبدأ بالجزئيّات ليصل إلى حكم الكلّيّات. والدين هو ما أبلغنا الخالق من شئون هذا الكون، ونهجه في تفصيل ذلك هو الاستنتاج: استنباط حكم الجزئيّات من الكلّيّات. فكلاهما طريق صحيح إلى المعرفة، ويكمّل أحدهما الآخر،

ولعل اختلاف الدّين عن العلم ناتج عن فساد أسلوب مِراسنا، لأنهما وجهان لحقيقة واحدة.

طالما تعاون العلم والدّين في خلق الحضارات وحلّ ما أشكل من معضلات الحياة. فالدّين هو المصدر الأساسي للأخلاق والفضائل وكلّ ما يعين الإنسان في سعيه إلى الكمال الرّوحاني، بينما يسمح العلم للإنسان أن يلج أسرار الطبيعة ويهديه إلى كيفية الاستفادة من قوانينها في النهوض بمقومات حياته وتحسن ظروفها. فبهما معا، تجمع للإنسان وسائل الرّاحة والرّخاء والرّقى مادياً وروحانياً. هما للإنسان بمثابة جناحيّ الطير. على تعادلها يتوقّف عروجه إلى العلى. وعلى توازنهما يقوم أطراد فلاحه. إن مال الإنسان إلى الدّين دون العلم، سيطرت على عقله الشّعوذة والخرافات، وإن نحا إلى العلم دون الدّين، سيطرت على عقله المادية وضعف منه الضمير. واختلافهما في الوقت الحاضر هو أحد الأسباب الرئيسيّة للاضطراب في المجتمع الإنسانيّ. وهو اختلاف مرجعه انطلاق التّفكير العلمي حراً، مع بقاء التّفكير الدّيني في أغلال الجمود والتقليد.

ومن مبادئ الدّين البهائيّ نبد جميع التّعصبات. فالتّعصبات هي أفكار ومعتقدات نسلم بصحتها وننخذها أساساً لأحكامنا مع رفض أيّ دليل يثبت خطأها أو غلوها. وعلى هذا تكون التّعصبات جهالة من مخلفات العصبية القبلية. وأكثر ما يعتمد عليه التّعصب هو التمسك بالمألوف وخشية الجديد، لمجرد أن قبوله يتطلب تعديلاً في القيم والمعايير التي نبنى عليها أحكامنا. فالتّعصب نوع من الهروب ورفض لمواجهة الواقع.

بهذا المعنى، التّعصب أيّا كان، جنسياً أو عنصرياً أو سياسياً أو عرقياً أو مذهبياً، هو شرّ يقوّض أركان الحقّ ويفسد المعرفة، بقدر ما يدعّم قوى الظلم ويزيد سيطرة الجهل. وبقدر ما للمرء من تعصّب، يضيق نطاق تفكيره وتنعدم حرّيته في الحكم الصّحيح. ولولا هذه التّعصبات لما عرف النّاس كثيراً من الحروب والاضطّهادات والانقسامات. ولأزال هذا الدّاء ينخر في هيكل المجتمع الإنسانيّ، ويسبب الحزازات والأحقاد التي تفصم عرى المحبّة والوداد. إن البهائيّة بإصرارها على ضرورة القضاء على

التَّعصب، إنّما تحرّر الإنسان من نقيصة مستحكمة، وتبرز دوره في إحقاق الحقِّ وأهميّة تحلّيه بخصال العدل والنزاهة والإنصاف.

ومن مبادئ الدّين البهائيّ وحدة الجنس البشري. الاتّحاد هدف بعيد المدى أنهجتنا سبيله الأديان منذ القدم، فوطّدت أركان الأسرة، فالقبيلة، فالدولة المدينة، فالأمة، وعملت على تطوير الإنسان من البداوة إلى الحضارة، وتوسيع نطاق مجتمعه بالنّثام شعوب متنازدة في أمة متماسكة، إعدادا ليوم يلتقي البشر جميعا تحت لواء العدل والسّلام في ظل الهدى الحقّ جلّ جلاله.

حقيقة، لم ينفرد الدّين وحده كقوة جامعة للبشر، فقد اتحدت اقوام كثيرة استجابة لودائع قومية أو اقتصادية أو دفاعية، ولكن امتاز الاتّحاد القائم على الانتماء الدّيني عن غيره بطول أمده ورسوخ دعائمه في وجدان أبناء العقيدة الواحدة. وإن لم يخل، مع الأسف، تاريخ الأديان أيضا من الانقسامات والانشقاقات التي استفزت كثيرا من الموارد البشريّة والاقتصادية.

الاتّحاد هدفه نبيل في حدّ ذاته، ولكنّه أضحى اليوم ضرورة تستلزمها المصالح الحيويّة للإنسان. فالمشاكل الكأداء التي تهدد مستقبل البشريّة مثل حماية البيئة من التلوث المتزايد، واستغلال الموارد الطّبيعية في العالم على نحو عادل، والحاح الحاجة إلى الإسراع بمشروعات التّثمية الاقتصادية والاجتماعيّة في الدّول المتخلّفة، وابتعاد شبح الحرب التّووية عن الاجيال القادمة، ومواجهة العنف والتّطرف اللّذين يهدّدان بالقضاء على الحريّات الفرديّة، كلّ هذه، وعديد من المشاكل الأخرى، يتعذر معالجتها على نحو فعّال إلّا من خلال تعاون وثيق مخلص على الصّعيد العالميّ.

علّمنا التّاريخ، كما تُعلّمنا أحداث الحاضر المريرة، أنّه لا سبيل لنزع زوّام الخصومة والضّغينة والبغضاء وبذر بذور الوئام بين الأنام، ولا سبيل لمنع القتال ونزع السّلاح ونشر لواء الصّلح والصلاح، ولا سبيل للحدّ من الاطماع والسيطرة والاستغلال، إلّا بالاعتصام بتعاليم الدّين الجديد وتشريع سماوي تتناول أحكامه تحقيق هذه الغايات، من خلال نظام بديع يقوم على إرساء قواعد الوحدة الشّاملة لبني الإنسان.

ومن مبادئ الدين البهائيّ تحقيق التّضامن الاجتماعيّ. لقد كان ومازال العوز داء يهدّد السّعادة البشريّة والاستقرار الاجتماعيّ، ومن ثمّ توالى المحاولات للسيطرة عليه، وإن صادف بعضها نجاحا محدودا، إلا أن الفقر قد طال امده واستشرى خطره في وقتنا الحاضر، وهو أقوى عامل يعوق جهود الإصلاح والتّميّة في أكثر المجتمعات، وقد امتدّت شروره الآن إلى العلاقات بين الدّول لتجعل منه ومما ينجم عنه من تخلف أزمة حادّة عظيمة التّعقيد.

إن كانت المساواة المطلقة مستحيّلة وعديمة الجدوى، فإن من المؤكّد ان لتكديس الثروات في أيدي الأغنياء مخاطر ونكسات لا يستهان بهما. ففي نفشى الفقر المدقع إلى جوار الغنى الفاحش مضار محقّقة تهدّد السّكينة التي ينشدها الجميع، واجحاف يدعو إلى إعادة التنظيم والتنسيق حتّى يحصل كلّ على نصيب من ضرورات الحياة الكريمة. وإن كان تفاوت الثروات أمر لا مفرّ منه، فإن في الاعتدال والتّوازن ما يحقق كثيرا من القيم والمنافع، ويتيح لكلّ فرد حظا من نعم الحياة. لقد أرسى بهاء الله، جلّ ذكره، هذا المبدأ على أساس ديني ووجداني، كما أوصى بوضع تشريع يكفل المواساة والموازرة بين بني الإنسان، كحقّ للفقراء، بقدر ما هو واجب على الأغنياء.

ومن مبادئ الدين البهائيّ المساواة في الحقوق والواجبات بين الرّجال والنّساء. لا تفترق ملكات المرأة الرّوحانيّة وقدراتها الفكريّة والعقليّة، وهما جوهر الإنسان، عما أوتي الرّجل منهما. فالمرأة والرّجل سواء في كثير الصفات الإنسانيّة، وقد كان خلق البشر على صورة ومثال الخالق، لا فرق في ذلك بين المرأة والرّجل. وليس التّماتل الكامل بين الجنسين في وظائفهما العضويّة شرطا لتكافئهما، طالما أن علّة المساواة هي اشتراكهما في الخصائص الجوهريّة، لا الصّفات العرضيّة. ان تقديم الرّجل على المرأة في السابق كان لأسباب اجتماعيّة وظروف بيئيّة لم يعد لهما وجود في الحياة الحاضرة. ولا دليل على أنّ الله يفرّق بين الرّجل والمرأة من حيث الإخلاص

في عبوديته والامتثال لأوامره. فإذا كانا متساويين في الثواب وعقاب الآخرة، فلم لا يتساويان في الحقوق والواجبات إزاء أمور الحياة الدنيا؟ المساواة بين الجنسين هي قانون عام من قوانين الوجود، حيث لا يوجد امتياز جوهري لجنس على آخر، لا على مستوى الحيوان، ولا مستوى النبات. والظن قديما بعدم كفاءة المرأة ليس إلا شبهة مرجعها الجهل وتفوق الرجل في قواه العضلية.

عدم اشتراك المرأة في الماضي اشتراكا متكافئا مع الرجل في شؤون الحياة، لم يكن أمرا أملت طبيعتها بقدر ما برّره نقص تعليمها وقلة مرانها، وأعباء عائلتها، وعزوفها عن النزال والقتال. أما وقد فتحت اليوم أبواب التعليم أمام المرأة، وأتيح لها مجال الخبرة بمساواة مع الرجل، وتهيات الوسائل لإعانتها في رعاية أسرتها، وأضحى السلام بين الدول والشعوب ضرورة تقتضيها المحافظة على المصالح الحيوية للجنس البشري، لم يعد هناك لزوم لإبقاء امتياز الرجل بعد زوال علته وانقضاء دواعيه. إن تحقيق المساواة بين عضوي المجتمع البشري يتيح الاستفادة التامة من خصائصها المتكاملة، ويسرع بالتقدم الاجتماعي والسياسي، ويضاعف فرص الجنس البشري لبلوغ السعادة والرفاهية.

ومن مبادئ الدين البهائيّ إيجاد نظم يحقق الشروط الضرورية لاتّحاد البشر. وبناء هذا الاتّحاد يقتضي دعامة سندها العدل لا القوة، وتقوم على التعاون لا التنافس، وغايتها تحقيق المصالح الجوهرية لعموم البشر، ويكون نتاجها عصرا يجمع بين الرّخاء والتّبوغ على نحو لم تعرفه البشرية إلى يومنا هذا. وقد فصلّ بهاء الله أسس هذا النّظم البديع في رسائله إلى ملوك ورؤساء دول العالم في عصره، أمثال نابليون الثالث، والملكة فكتوريا، وناصر الدّين شاه، ونيقولا الأوّل وبسمارك، وقداسة البابا بيوس التاسع، والسّلطان عبد الحميد، فدعاهم للعمل متعاضدين على تخليص البشرية من لعنة الحرب وتجنّبها نكبات المنافسات العميقة. قوبل هذا النّظم العالميّ آنذاك بالاستنكار لمخالفته لكلّ ما كان متعارفا عليه في العلاقات بين الدّول. لكن أصبحت المبادئ التي أعلنها مألوفة، يراها الخبراء والمفكرون اليوم

من مسلمات أيّ نظام عالميّ جاد في إعادة تنظيم العلاقات بين المجموعات البشرية على نمط يحقق ما أسلفنا من الغايات.
ومن أركان هذا النّظم:

- نبذ الحروب كوسيلة لحل المشاكلّ والمنازعات بين الأمم، بما يستلزمه ذلك من تكوين محكمة دولية للنّظر فيما يطرأ من منازعات، وإعانة أطرافها للتّوصل إلى حلول سلمية عادلة.

- تأسيس مجلس تشريعي لحماية المصالح الحيويّة للبشر وسن قوانين لصون السّلام في العالم.

- تنظيم إشراف يمنع تكديس السّلاح بما يزيد عن حاجة الدّول لحفظ النّظام داخل حدودها.

- انشاء قوة دولية دائمة لفرض احترام القانون وردع أيّ أمة عن استعمال القوّة لتنفيذ مآربها.

- إيجاد أو اختيار لغة عالميّة ثانويّة تأخذ مكانها إلى جانب اللّغات القوميّة تسهيلاً لتبادل الآراء، ونشراً للثقافة والمعرفة، وزيادة للتّفاهم والتّقارب بين الشعوب.

من تاريخ الدين البهائيّ

بدأ التاريخ البهائيّ بإعلان الدّعوة البايّة في عام ١٨٤٤، وهي ذاتها تهيئةً لقدم دعوة أخرى، تتحقّق بظهورها نبوءات الأنبياء والرّسل السّابقين، إلّا وهي الدّعوة البهائيّة. وقد مهّدت الفرقة الشّيخية قبل البايّة لهذا الحدث الجلل، بفضل عالميّن جليلين من أئمة الشّيعة الإثني عشرية. مرّت أحداث التاريخ البهائيّ بمراحل عدة لكلّ منها خصائص مميزة، وإن كانت متّصلة بلا انفصام، بحيث لا يبيّن مدلولها الكامل إلّا برويتها كوحدة متكاملة. ولكن رغبة في إيضاح وإبراز مغزى أحداث هذا التاريخ الحافل، يمكن تقسيمه إلى دورتين: دورة البشير أو البايّة، ودورة الظهور أو البهائيّة، تسبقهما مرحلة إعدادية تتمثل في تعاليم الفرقة الشّيخية. هذا التقسيم، وما ينضوي تحته من تقسيم أكثر تفصيلاً، لا يحتمل معنى خاصاً، ولا يعدو عن كونه ترتيباً منهجياً لدراسة التاريخ وسهولة استيعابه.

مرحلة الإعدادية أو الشّيخية

ساد في أوائل القرن التّاسع عشر بين أتباع الديانات المختلفة شعور باقتراب تحقّق نبوءات آخر الزّمان، المؤكدة لرجوع المسيح أو ظهور الإمام الغائب، أو مجيء المهدي المنتظر، وأنكر آخرون احتمال ذلك. وسط هذه التكهّنات، ظهرت فرقة الشّيخية التي أسّسها الشّيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الإحسائي، المولود بشبة الجزيرة العربية عام ١٧٤٣.

اهتمّ الإحسائي بإصلاح معتقدات الشّيعة: فقال بأن الإمام الموعود لن يخرج من الخفاء، وإنّما سيولد في صورة شخص من اشخاص هذا العالم، وأن المعاد يكون بالجوه لا بالعنصر الترابي، فالجسد يبلى بعد الموت، أما الحشر والنشر فيكون بالروح وهو من الجوه.

توفى الشّيخ سنة ١٨٢٦ ودفن بالبقيع، بالمدينة المنورة^١

تابع أبحاث الإحساني من بعده تلميذه الشّيخ كاظم الرّشتي. وواصل رؤى شيخه في ظهور "الموعود"، وعدّد لتلاميذه أوصافه وعلاماته، وأعلن في أواخر أيامه أنّ تعاليم الشّيخية قد استوفت غرضها في التّهيئة لمجيئه، وأوصى تلاميذه بالتشتت بحثاً عنه. فما ان توفاه الله حتّى هاموا في أرجاء إيران بحثاً عن الموعود.^٢

رسالة البشير أو البايّة

كانت دورة البشير أو المبشّر قصيرة المدى، لم تتعدى ثماني سنوات، ولكنها حفلت بآيات البطولة، وتجلّت فيها روح الفداء بالنفس والتّفيس في سبيل الله. ويمكن لإبراز مغزى أحداث هذه الدّورة، تقسيمها إلى ثلاثة مراحل: مرحلة الكشف، ومرحلة الإعلان، ومرحلة الاستقلال.

مرحلة الكشف

جرت معظم أحداثها في مدينة شيراز، وأهمها كشف النقاب عن أمر الباب، وإن بقي أمره طوال هذه المرحلة، منحصرًا في عدد محدود من أتباعه، بينما كرس حضرته جهده لتلقينهم تعاليم دعوته، واعدادهم للمهام الجسمية التي تنتظرهم، وتنتهي هذه المرحلة باجتماع الباب بتلاميذه الثمانية عشر، وإبلاغهم مهام كلّ منهم، وأمرهم بالتشتت في أنحاء البلاد.

تفصيلاً لهذا الإجمال، نعود بالأحداث إلى تلاميذ السيّد كاظم الرّشتي. في غضون عام من انتشارهم بحثاً من القائم، التقى أحد أئمتهم، الملائ حسين بشروئي، بالسيّد على محمد، أحد تجار وأعيان مدينة شيراز، الذي دأبه إلى منزله. وسرعان ما انبهر ملاّ حسين بشخص مضيفه، إذ وجده فذاً في رفته ووقار شخصيته، فريداً في وداعته وصفاء سريرته، جذاباً في حديثه، قويّاً في منطقته، يأسر مستمعيه بسحر بيانه. وفي الهزيع الأوّل من تلك اللّيلة الخامسة من جمادى الأولى ١٢٦٠ هـ - الموافقة لليلة ٢٢ مايو (آيار) ١٨٤٤م - كشف السيّد على محمد لضيفه النقاب عن حقيقة كينونته:

انه هو الباب - وهو لقب يبيّن أنه مقدمة لمجيء "من يظهره الله" - ذات "الظهور" الذي بشر بقرب مجيئه الشيخان، أحمد الإحسائي وكاظم الرشتي، وجاء ذكره في الديانات السابقة بأسماء وأوصاف متباينة في ظاهرها، ومتوافقة في جوهرها وحقيقتها.

في أول الأمر ساور الشكّ قلب الملائ حسين، وهو اخصّ تلاميذه السيّد كاظم، الملمّ بكلّ أقواله عن "الموعود" وأوصافه وعلاماته، وهو الفقيه الذي أعد نفسه للتعرف على "الموعود" فطلب الدليل تلوّ الدليل، حتّى نزلت في حضوره سورة، قيوم الأسماء. رأى الملائ حسين في الهيمنة، والاقدار، والالهام، والبرهان الساطع على نزول الوحي، فأذن إلى نداء الله، وكان أول من صدق بالباب الذي لُقّب أيضا بالنقطة الأولى وحضرة الأعلى.

ولما بلغ عدد المصدّقين بالدعوة الجديدة ثمانية عشر، معظمهم من تلامذة السيّد كاظم، اجتمع بهم الباب، وأمرهم بالانتشار في الأرض، مذكرا إيهامهم بأنهم حملة لواء الله في هذا اليوم العظيم، وأمرهم ان يتحلّوا بصفات الله واسمائه الحسنى. ويكونوا في أقوالهم وأعمالهم مصداقا لتقوى الله وقدرته وجلاله. وأن يشهد حلّهم وترحالهم على نبل مقصدهم، وكمال فضائلهم، وصدق إيمانهم، وخلوص عبوديتهم.

خرج الباب بعد ذلك حاجا، وبعد أن أعلن دعوته إلى شريف مكّة المكرّمة، عاد إلى المدينة، شيراز، ليواجه معارضة علمائها المستكبرين، وشر حاكمها العاتي.

مرحلة الإعلان

بدأ خطاب الباب إلى تلاميذه المرحلة الثّانية في تاريخ دعوته، مرحلة الإعلان، التي امتدت فترتها حتّى سجنه في قلعة ماه كوه. تميّزت هذه المرحلة باعتناق عدد من خاصّة علماء الشّيعّة الدّعوة البابيّة، وانتشار أمر الباب في أنحاء بلاد إيران، ولكن فشلت مع ذلك مساعيه للقيام شخصيا

بإبلاغ الدّعوة للملك محمد شاه. كما شاهد ختام هذه المرحلة انضمام السّلطة المدينة إلى رجال الدّين في مقاومة هذه الدّعوة الجديدة، وصدور أمرها بسجن الباب.

تفصيلاً لأحداث هذه المرحلة الدّقيقة نعود إلى سفر الباب إلى بيت الله الحرام. أتاح غياب حضرته الفرصة للمعرضين لينشروا الأكاذيب عنه، وليثيروا الفتنة ضدّه في مدينة شيراز، فلما عاد من حجّه عمل على تهدئة خواطر النّاس فيها، وعندما اجتمع علماء المدينة لحواره، وواجهوه بكثير من الاتّهامات الكاذبة، رأى حضرته الاكتفاء بإنكار الأباطيل المنسوبة إليه، دون الدخول في شرح بعثته، فأشاع مناوئوه أنّه رجع عن دعوته، بينما الواضح من كلامه أنّه تبرأ من مقترياتهم، دون أن يتطرّق إلى إنكار أو اثبات صدق دعوته.

حمل الاهتمام المتزايد بأمر الباب شاه إيران على إرسال أوثق علمائه لتحري الحقيقة، فبعث بالسّيّد يحيى الدّارابي، الذي باحث الباب عدّة مرّات، انتهى بعدها إلى التصديق بدعوته، فاتّهمه العلماء بالجنون، مع أنهم كانوا يعتبرونه حتّى إعلان إيمانه بدعوة الباب أرسخهم علماء، وأجدرهم بمحاجة الباب ودحض دعوته. بعث بعد ذلك، الملاّ محمد على الزّنجاني، من كبار مجتهدي الشّيعه في زمانه، أحد خاصته لبحث أمر الباب، وما أن عاد رسوله حتّى أنهى الملاّ محمد مجلس تدريسه معلناً عبارته الشهيرة: "طلب العلم بعد الوصول إلى المعلوم مذموم".

قرّر علماء شيراز في أعقاب ذلك، التخلّص من الباب، ولكن في ذات اللّيلة التي قبض فيها عليه، فتكّ الوباء فجأة بمدينة شيراز وأثار الذعر بين أهلها، فأمر حاكمها بإطلاق سراحه، وطلب منه مغادرتها. قصد الباب مدينة أصفهان، ولكن افتى علماؤها بكفره. ولما دعاهم حاكمها ليباحثوا الباب في أمره، رفضوا متعلّلين بأنّ المناظرة تجوز فيما أشكل، أمّا خروج الباب على الشرع فواضح كالشمس في رانعة النّهار. وواصل علماء أصفهان الشكوى إلى ساحة الملك، فصدر الأمر بإقصاء الباب إلى قلعته ماه كوه ثمّ قلعة جهريق بإقليم أزربايجان.

مرحلة الاستقلال

بدخول الباب السجن بلغت دعوته مرحلة الاستقلال. اذ أتاح السجن له لشرح دعوته وبيان أهدافها، كما سهّل على المؤمنين الاتّصال به بعيدا عن مكائد الأعداء، فتجلى استقلال الدّعوة الجديدة، واجتمع اقطابها بمكان يدعى بدشت لتأكيد هذا الاستقلال. انتهت هذه المرحلة الثّالثة بتأمّر السّلطتين المدنيّة والدينيّة على قتل الباب، ونجاحهما في تنفيذ ماريهما علنا.

تفصيل أحداث هذه المرحلة يبدأ بأسباب سجن الباب في إقليم أزربايجان بالذات. فقد كان اختيار الوزير أقاسى قلعة ماه كوه ثم قلعة جهريق مكانا لسجن الباب وكلاهما بارض نائية في أزربايجان، على مظنة عدم مبالاة سكانها بهذه الدّعوة، لأنهم من الأكراد السنّة. ولكن ما أن حضر إليها الباب حتّى انبهر أهلها بدمائة أخلاقه، ورقّة طباعه، وقوّة إيمانه، وخوارق أعماله، فالتفوا حوله، ورحبوا بكلّ من قصده، وأضحى سجنه مكانا يأمه الحجاج، بعيدا عن مكائد علماء الشّيعة، فزادت البايبيّة انتشارا، وزاد بذلك قلق العلماء.

وافت المنيّة في هذه الأثناء محمد شاه، وخلفه على العرش الأمير ناصر الدّين، ولما يتجاوز السادسة عشر من عمره، كما تولى ميرزا تقى خان الوزارة متصورا أن إرهاب البايبيين سيوقف انتشار دعوتهم، ويكسبه تأييد العلماء. فأقحم الوزير تقى خان السّلطة المدنيّة مع السّلطة الدينيّة في محاربة البايبيّة. لذلك لم تحرك هذه السّلطة ساكنا عندما أغار الغوغاء على البايبيين بتحريض من العلماء، فاغتصبوا أموالهم، وأراقوا دماءهم، ونكّلوا بذويهم، وحيثما حاول المعتدى عليهم دفع الشّر عن أنفسهم، اتّهموا بإثارة الفتن والاضطرابات.

جمع الباب آنذاك أوراقه وأرسلها مع قلمه وخاتمه إلى حضرة بهاء الله في طهران إشارة إلى وشك انتهاء مهمته. نقل بعدها بقليل، مع أربعة من أتباعه إلى تبريز، حيث أعدت العدة لقتله. وفي اليوم التالي لوصوله، أصدر علماء تبريز فتياهم بإعدام الباب بدون مواجهته، وتولى سام خان، رئيس فرقة الجنود الأرمن، تنفيذ الإعدام: ربط الباب ورفيق له في مواجهة ثلّة جنود اصطفوا في ثلاث صفوف على مرأى ومسمع الجموع المتفرجة. ثم

صدر الأمر بإطلاق البارود، فعلا دخان كثيف تعذرت معه الرؤية. وبعد انقشاع سحب الدخان، انصعقت الجماهير لرؤية رفيق الباب قائما بمفرده، وقد تمزقت الحبال التي قيد بها، دون أن يصاب هو بأذى، ولا أثر للباب نفسه.

كان الباب جالسا داخل الغرفة التي اقتيد منها، يتابع في هدوء إبلاغ آخر وصاياه لأتباعه. بعد انتهائه، أبلغ حارسه المشدوه أن وقت شهادته قد حان، ولكن رفض الحارس، كذلك سام خان، الاشتراك في قتله، وقرر سام خان وجنوده الانسحاب.

لم يكن بدّ من إتمام المؤمرة خوفا من زيادة انتشار الدين الجديد. فأحضرت فرقة أخرى من الجنود، واقتيد الباب إلى ذات المكان، وأطلق الرصاص، فتحققت بشهادته نبوءة خطّها يراعه في مستهل دعوته:

يا سيّد الأَكْبَر* ما أنا بشيء إلاّ وقد أقامنتي قدرتك على الأمر* ما أتكلت في شيء إلاّ عليك* وما اعتصمت في أمر إلاّ إليك* يا بقية الله قد فديت بكلى لك وارتضيت السبّ في سبيلك وما تمنيت إلاّ القتل في محبتك* وكفى بالله العلى معتصما قديما* وكفى بالله شاهدا ووكيلا^٢

أثرت الوقائع المذهلة لاستشهاد الباب على القوى العقلية لآحد الذين قاموا على خدمته وتعلقوا بشخصه، فتصوّر أنّ الوفاء يفرض الانتقام له، فعزم على قتل الشاه. من دلائل ضعف عقله، أنّه استخدم أداة لا تميت، فأصاب الشاه بجروح طفيفة. لكن وجد أعداء البابية الفرصة من جديد للفتك بالبابيين، وبدون تحقيق أو محاكمة اتّهم البابيون جميعا بالتآمر على حياة الشاه، فامتلاتّ السجون بمن بقي منهم على قيد الحياة واقتيدوا أفواجا إلى مقر الشهادة.

قضت موجة الفتك والسلب على الاف الأبرياء، ولكن مضت دعوتهم قدما وامتد نفوذها إلى شرق الأرض وغربها، وترجمت كتبها إلى لغات مختلفة، وأضحى مرقد الباب محجّا تأمه الملايين بينما خوت قصور الملوك والوزراء الذين حاربوه واندكت عروشهم كأنها هشيم تذروه الرّياح.

طلعة الظهور أو البهائية

البهائية هي الإشراق الذي هيأت له الدورة السابقة. وأحداث الدورتين مرتبطة، يتعذر تحديد خط فاصل بينهما، إلا أنّ بهاء الله بين أنّ بعثته بدأت أيام سجنه في سياه چال بطهران. ولكن لا يمكن تقسيم تاريخ هذه الدورة بالبساطة إلى اتباعها في الدورة البابية، لأن أحداثها لا تقتصر على ما وقع منها في حياة بهاء الله فحسب، بل تشمل أيضا ما انجزه ابنه ومركز عهده عبد البهاء، ومن بعده شوقي ربّاني حفيد عبد البهاء ووليّ الأمر. وينبغي قبل تفصيل هذه المراحل أن نقدّم بكلمة عن صاحب هذه الدورة.

بهاء الله هو اللقب الذي عرف به ميرزا حسين على النوري، وهو سليل مجد وشرف، إذ كان أبوه ميرزا عباس المعروف بميرزا بزرگ، أحد النبلاء المقربين إلى بلاط الملك فتح على شاه، وحاكما على منطقة بروجيرد ولوريستان. اتّصف بهاء الله منذ طفولته بحميد الخلال، وجميل الخصال، وتميّز بحدّة الذكاء، ورجاحة العقل، والشجاعة والاقدام، وأبدى منذ بكرة صباه كفاءة ومهارة فائقين في حلّ أعقد المشاكل، وأظهر معرفة وعلمًا لدنيًا أدهشا من حوله من كبار الدولة. ورغم كثرة ما عرض عليه من مناصب الدولة، انصرف كليّة إلى أعمال البرّ، ورعاية المساكين، منفقا ماله على الفقراء والمعوزين.

في بغداد

بعد محاولة الاعتداء على حياة الشاه، قضى بهاء الله أربعة شهور سجينا في طهران، وابتنظر دوره للإعدام بصفته أحد أقطاب البهائية، ولكن نجح بعض أصدقائه القدامى في اقناع الملك بالتحقيق في هذا الحادث، فثبتت براءته، وأطلق سراحه، ولكن أمرت السلطات بإبعاده، وصادرت أمواله، فقصد العراق.

بعد إقامة قصيرة في بغداد قرر بهاء الله الاعتزال في جبال السليمانية حيث انقطع متعبدا في خلوة دامت عامين، لم يكن أحد يعلم خلالها مكانه. وعندما عُرف مكانه انهالت عليه التوسلات للعودة لجمع شملهم، وتنظيم صفوفهم من جديد.

اهتم بهاء الله بشرح وبيان تعاليم الباب على نحو لا يمكن أن يكون إلا الهاما إليها. ومن بين مآثر هذه الفترة رسالتين على جانب عظيم من الأهمية، ولا زالتا آيتين من آيات الإعجاز: هما الكلمات المكونة، وكتاب الإيقان. تتعدى الرسالة الأولى حدود جمال التصور وبلاغة اللفظ ورقة التعبير، إلى عمق المعنى وسمو الفكرة، مع شدة الاختصار وسحر البيان، وهي موجز للفضائل والإلهيات التي جاءت بها الأديان سابقا، أو كما قدم لها بهاء الله: ﴿هذا ما نزل من جبروت العزة بلسان القدرة والقوة على النبيين من قبل، وإنا أخذنا جواهره وأقمصناه قميص الاختصار فضلا على الأحبار، ليوفوا بعهد الله ويؤدوا أماناته في أنفسهم، وليكوّنن بجوهر النقي في أرض الروح من الفائزين﴾

وفي الرسالة الثانية يفيض بيانه الأملى بتفسير آيات الكتب المقدسة السابقة على نحو يبرز وحدة معانيها ومقاصدها، ويُلقت الأنظار إلى أبدية الأديان، وعدم محدودية رسالاتها رغم محدودية أحكامها في حيز زمني، وخلت الرسالتان من أي إشارة إلى أمره الجديد، ولكن فتح كتاب الإيقان آفاق فسيحة أمام الفكر الديني لكل المهتمين بالروحانيات، مهياً لإعلان ظهوره المبارك. بقي بهاء الله في بغداد قرابة عشر سنوات، علت اثناؤها شكوى البلاط الفارسي من ازدياد نفوذه في منطقة يحج إليها الشيعة من إيران، وينتهز كثير منهم الفرصة ليستطلع حقائق البايّة. وزادت مخاوف البلاط الإيراني بعد زيارة عدد من أفراد - من بينهم الأمراء - لبهاء الله في منزله المتواضع. فأمر السلطان عبد الحميد بحضوره إلى إسطنبول. وبينما كان يتأهب للرحيل في ربيع عام ١٨٦٢، أعلن بهاء الله لأصحابه بأنه الموعود الذي بشر به الباب، والذي بظهوره تتحقق نبوءات ووعود الأديان السابقة.

في أدرنة

تمتدّ المرحلة الثّانية من وقت هذا الإعلان الخاص إلى حين إبحار بهاء الله من تركيا، في طريقه إلى عكا، وتتميّز بتطوّر المبادئ التي أعلنها الباب إلى أصول وأحكام مفصّلة، وإعلان دعوة بهاء الله إعلانا عاما على التدرّج، وإعداد رسائله الموجهة إلى ملوك ورؤساء الدّول، لإبلاغهم مبادئ العصر الجديد ونظامه العالميّ، ودعوتهم للكفّ عن الحروب، والحدّ من التسلّح، والاتّحاد والتّعاون لخير الشّعوب.

جرت أكثر أحداث هذه المرحلة في مدينة أدرنة على أرض القارة الأوروبيّة. فبعد وصول بهاء الله وصحبّه إلى مدينة إستنبول في منتصف أغسطس (اب) ١٨٦٢، من رحلة دامت ثلاثة شهور ونصف على ظهور الدّواب، خلال جبال وعرة، نما إلى علمهم قرار ترحيلهم إلى أدرنة، التي وصلوها يوم ١٦ ديسمبر (كانون أول) من نفس السنّة. واصل بهاء الله أثناء إقامته في هذه المدينة، وطيلة السّنات الخمس الثّالية، تفصيل أصول دعوته، وشرح التّبوءات والوعود الإلهيّة الخاصّة بمجيئه، وتهذيب وتقويم أخلاق أصحابه وأتباعه، وبيان نظامه لحفظ الأمن في العالم، وإقامة السّلام على قواعد العدل والتّأزر، وضمنّ ذلك رسائله إلى الملوك الذين أنذرهم جمعا وفرادى مغبّة رفض دعوته. وحاق بكلّ منهم ما أنذره مسبقا من خسران مادي ومعنوي - نتيجة لاستكبارهم وعدم مبالاتهم بهذه الرّسالة السّماويّة ورفضهم الانصياع لأمر الله - رغم ما كانوا عليه من عز مبین.

هنالك ملأ الحسد قلب أخيه لأب، ميرزا يحيى، وانتهز المناوئون الفرصة لتقسيم الأصحاب، وشجعوه على المضي في غيّه، حتّى إذا ما اشتدت حدّة الخلاف بين الأتباع، طالبوا السّلطان بإبعادهم، فصدر الأمر بترحيل ميرزا يحيى ومشايخه إلى قبرص، وسجن بهاء الله وصحبته في عكا.

في عكا

تمتدّ المرحلة الثالثة، من وقت وصول بهاء الله إلى سجن عكا حتّى وفاته بقربها. شهدت السنوات الأربع والعشرون التي قضاها بهاء الله في عكا ومرّجها، إبلاغ رسائله إلى الرؤساء والملوك، ونزول الكتاب الاقدس مضمّنًا حدود وأحكام الشريعة البهائية، وتفصيل نظامه العالمي، وانتشار دعوته من إيران والعراق، إلى تركيا وروسيا، ومصر، والشّام، والهند.

أعاد سجن بهاء الله بعكا إلى الأذهان الأحاديث المرويّة حول منزلتها. ومع ذلك لما ورد بهاء الله إليها يوم ٢١ أغسطس ١٨٦٨ لم يخرج أهلها مرحبين بمن صبغ على مدينتهم هذه القداسة، ولكن اجتمعوا ليسخروا بمن وصفه فرمان ٥ ربيع الآخر ١٦٨٥هـ - بمدّعي الألوهيّة، وقضى بدون محاكمة بالسجن مدى الحياة على كلّ من صاحب الظهور وأفراد عائلته، كما أنذر الأهالي مغبّة الاختلاط بهؤلاء الأشرار أو معاشرتهم. واقع الأمر أنّ العزلة التي فرضت على بهاء الله في سجن عكا كانت خير دعامة لهذا الظهور المبارك، وبدأت فترة غنيّة بالتّنزيل، إذ واصل حضرته من السجن إبلاغ دعوته إلى الملوك ورؤساء العالم، وفصل في مئات من رسائله معالم النّظم العالميّ الذي أبدعه، وأنزل في كتاب الاقدس التّشريع الجديد، وأجاب على أسئلة المستفسرين، وحرر كتاب عهده وميثاقه، وحدد الهيئات والقيادات المستقلّة لإدارة أمر دينه، وبيّن وظيفة وسلطة كلّ منهما، وعيّن ابنه الأرشد ليتولى إدارة شئون أمره وتبیین تعاليمه من بعده. وبقي في مرج عكا حتّى صعّدت روحه إلى الرفيق الأعلى في فجر ٢٩ مايو (أيار) ١٨٩٢.

دخل بهاء الله مدينة عكا سجينًا، وبقي سجينًا زهاء ربع قرن - في قبضة طاع لقبه السّلطان الأحمر لكثرة ما اراق من دماء - واتّهم بالكفر، وتقويض أركان الدّين، وادعاء الألوهيّة، وتضليل النّاس، فحذرت أهالي عكا أوّل الأمر، ثم تتبّع النّاس حركته، وتحزّروا أمره، واطّلعوا على دعوته، وتصفحوا أقواله وأفعاله قرابة ربع قرن قضاها بينهم، فتبيّنوا كذب كلّ ما أشيع عنه. بذلك شهدت كلماتهم وعباراتهم حين تشييعهم جنازته وتأيينه^(٤)، وبدا من

كلماتهم الندم والأسى. كانت كلماتهم بسيطة على الفطرة، فعكاً مدينة صغيرة لم تشتهر بعلم أو أدب، ولكنها أعربت عن مشاعر فاضت بها قلوب صادقة، رغم ما كان يمكن أن يلحق بهم من أذى لمخالفتهم الإدارة السنّية.

كتب الأستاذ عيد من أهالي عكّا في رثاء بهاء الله:

" ... فلا محاسن فضله تدرك، ولا مآثر عدله تعدّ، ولا فيوض
مراحمه توصف، ولا غزارة مكارمه تحصر، ولا كرم أعراقه
ككرم أعراق النَّاس. فإن كلّ هذه الصّفات الّتي كان فيها آية الله
في خلقه لم تكن لنفي بوصف بعثته الشّريفة، فهو المنفرد
بصفاته، والحبر المتناهي بحسناته وميرّاته، بل هو فوق ما
يصف الواصفون، وينعت النّاعتون ... "

ومن رثاء نظمه الشّيخ عبد الملك الشعبي:

لقد كان ربّ الفضل والعلم والتّقى
و بحر النّدى والجود والحلم والمجد
ومصباح جود في الدّجى يهتدى به
بلى غاية الرّاجي واکرام من يسدى

ومن رثاء نظمه المعلّم أمين فارس من كفر يسيف:

قد كان كهفا للبرايا كلّ من وافاه كان ينال ما يستنظر
قد كان شمس الهدى وبدر فضائل ومفاخر ومآثر لا تنكر

ومن رثاء رشيد أفندي الصّفدي من عكّا:

إمام قد حوى علما وفضلا ورشدا منه ظهر البهاء

بتحقيق اليقين على صلاح وزهد لا يشوبهما رياء

ومن رثاء أمين زيدان:

يا إمام الهدى ونور البهاء أيّ لفظ يفيك حقّ العزاء
ليت شعري من لي بلفظ نبويّ فيه أرثى علامة الأنبياء

كما كذب المؤرخ الإسلاميّ، الأمير شكيب أرسلان، المفتريات الموجهة إلى البهاء الله، فقال:

"ومما لا جدال فيه أن البهاء وأولاده بمقامهم هذه المدّة الطويلة بعكاً أصبحوا بأشخاصهم معروفين لدى أهالي بلادنا المعرفة التامة، بحيث صفا جوهرهم عن أن تعتريه الجهالة، وامتنعت حقيقتهم عن أن تتلاعب بها حصائد الألسنة. أمّا البهاء فقد أجمع أهل عكا على أنه كان يقضي وقته معنزلاً معتكفاً. وأنه ما اطّلع له أحد على سوء، ولا مظنة نقد، ولا مدعاة شبهة في أحواله الشخصيّة كلّها..."^(٥)

وكتب محمود خير الدين الحلبي، صاحب جريدتي وفاء العرب والشورى الدمشقيتين:

"...وانتقل حضرة بهاء الله إلى (البهجة) وواصل جهاده حتّى أصبح كعبة الوزاد من جميع الجهات. وبدأت الهبات ترد عليه بكثرة من الأتباع والمريدين. ومع ذلك فما كان يتجاوز حدود البساطة وكان ينفق على الفقراء والمساكين، ويقضى معظم أوقاته بالصلاة والعبادة..."^(٦)

مركز العهد

إن النّظم الإداريّ للدين البهائيّ يقوم أساساً على هيئات منتخبة بالاقتراع العام، على المستويين المحليّ والعالميّ، ولكن حين وفاة بهاء الله، لم يكن تعداد البهائيّين، ولا درجة امتزاج شرقيّهم وغربيّهم، ولا ما بين أيديهم من تفاصيل النّظم الإداريّ الجديد، يسمح بتنفيذ وحسن سير هذا النّظم. فعين بهاء الله ابنه الأرشد عباس أفندي، ليوصل بناء الجامعة البهائيّة العالميّة، ويرسى قواعد نظامها على نفس النّمت الرّوحاني الذي أبدعه، ويحمي الدين البهائيّ من التّشيع والانشقاق، سواء بسبب خلافته أو بسبب تفسير تعاليمه وأحكامه، فنص بهاء الله على هذا التّعيين في وصيّة مكتوبة بخط يده، واعتبرها عهداً وثيقاً بينه وبين المؤمنين، حتّى لا تتصدع صفوفهم. وقام عباس أفندي على الأمر من بعد والده بوصفه مركز عهده، واختار لنفسه اسم عبد البهاء.

ولد عبد البهاء في عام ١٨٤٤ في نفس الليلة التي أعلن فيها الباب دعوته، وأدرك عبد البهاء منزلة أبيه وهو صبيّ في التّاسعة من عمره، قبل أن يعلن والده دعوته بعشر سنوات، ولازمه في منفاه بالعراق وتركيا ثم في سجن عكا، ساهرا على تهيئة ما يعينه على تحقيق أهداف رسالته، وقام على خدمته ومناصرته كمؤمن أسير في محبّته، منفاني في طاعته، حريص على رضاه حتّى اللّحظة الأخيرة من حياته.

لم تسمح ظروف النفي والسّجن المستمرّين ليتلقى عبد البهاء العلم في المدارس، فعلمه والده. أبدى منذ حداثة سنّة من مظاهر النّباهة والفظنة والنّبوغ وحدّة الذكاء قدرا غير مألوف.

تشهد الأحاديث والكتب، والرسائل التي تركها برسوخ قدمه في العلم وقدرته الفذة على حسن البيان، ودقة التعبير، وعمق الفهم، ومعرفة دقيقة بأسرار هذا الكون. وما نشر له حتّى الآن يربو على ألف وسبعمئة رسالة، تقع في سبع مجلدات، تحتوي تراثاً خالداً للأجيال القادمة.

لم ينتهي سجن عبد البهاء، إلا بعد عزل السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩، والإفراج عن الأبرياء المسجونين في الدولة العثمانية. ورغم أنه نال الحرية شيخا ناهز الخامسة والستين من عمره، ورغم ان طول سجنه قد هدّ قواه وأنهك صحّته، إلا أنه بدأ أسفاره لبلاد الغرب. وبعد التوقف قليلا في مصر، اعتلى المنابر، وتصدّر المحافل والمجالس العلميّة، وحاضر في الجامعات، وخطب في المصلين، وناظر العلماء، وباحث المفكرين، وناقش الأدباء، وحرّر ما لا حصر له من الرّسائل ردّا على المستفسرين، وأبلى في ذلك كلّه بلاء لا حدّ له ولا نظير. لم يسافر ساعيا لكسب أو شهرة، وإنما قياما بواجب نصح به أصحابه: ألا يلودوا بالسّكون، أو يخلدوا إلى الرّاحة، وأن يطهّروا أنفسهم من التعلّق بملذّات الحياة الفانيّة، ويشتروا بمتاع الدّنيا كنوزا لا تفتى ومقرا في قرب الله، وأن يغتنموا الفرصة لنشر نفحات الله وسطوع نوره بين العالمين.

تناول عبد البهاء في كتبه وأحاديثه الخاصة والعامة موضوعات كثيرة التّنوع عبّر فيها عن فكر بهائيّ روحا ومعنى. بيّن أن وحدة العالم في طريقها إلى التّحقيق على التّدرّج ولها سبع عناصر: اتّحاد في السّياسة، واتّحاد في الفكر، واتّحاد في الحرية، واتّحاد في الدّين واتّحاد في القوميّة، واتّحاد بين الاجناس، واتّحاد في اللّغة. وبنى حلوله لمشاكل العالم على أساس قيم إنسانيّة، مؤكدا أن التّقدم سواء في ميادين الاقتصاد أو الاجتماع أو العلوم والآداب والفنون، إنّما يتوقف على مدى ما وصل إليه أفراد المجتمع في تمسكهم، وتقويمهم للأخلاق، وحرصهم على المصلحة العامّة قبل المصالح الخاصّة، ورغبتهم في التّعاون على البرّ والخير، وأن هذه وغيرها من مقومات الرقيّ تتحقّق بالتهذيب الدّيني، لا بالسّياسة ولا بالعلم ولا بالثّروة. وردّ على رسالة لمؤتمر السّلام المنعقد في لاهاي في ١٨٩٩، فأوضح أن السّلام العالميّ بعيد المنال ما لم توضع المبادئ الرّوحانيّة والتّعاليم التي أعلنها بهاء الله موضع التّنفيذ. وحدّر أثناء أسفاره من وشوك اندلاع حرب عالميّة، ومن خطر الأوضاع السّائدة في بلاد البلقان. وكرّس جهودا مضنية لإزالة الفواصل التي مازالت تفرّق بين النّاس سواء كان مرجعها التّعصب

الدِّينِي أَوْ التَّعَصُّبَ العنصرِي أَوْ التَّعَصُّبَ القومِي. وعَلِمَ أن الأديانَ هي مرقا للسموِّ الإنساني فلا يجوز أن نحولها إلى حواجز تفصل بين البشر. ومن نصحه لنفر من أصحابه:

"... فيجب عليكم أن تتضرَّعوا وتبتهلوا أثناء الليل وأطراف النَّهار، وتسالوا الله أن يوفِّقكم إلى الأعمال لا الأقوال. توجَّهوا إلى الله، وصلُّوا له وناجوه، واسعوا عسى أن توفِّقوا إلى عمل الخير، وأن تكونوا سببا لغنى الفقير، وعونا لكلِّ بائس، وسرورا لكلِّ محزون، وسببا لصحة كلِّ مريض، وسببا لأمن كلِّ خائف، ووسيلة لكلِّ من لا وسيلة له، وملجأ وملادا لكلِّ غريب، ومنزلا ومأوى لكلِّ من لا مأوى له ولا وطن. تلك هي صفة البهائيِّ."

وفي ١٢ نوفمبر (تشرين الثَّاني) ١٩١١ أبان لزارثيه ان الدِّين منقسم إلى قسمين، أحدهما يتعلَّق بالروحانيات، وهو الأصل، والثَّاني يتعلَّق بالماديَّات، أي المعاملات. "أما القسم المتعلِّق بالروحانيات والالهيَّات فإنَّه لم يتغيَّر، ولم يتبدَّل، وعليه بعث جميع الأنبياء الذين أسَّسوا فضائل الإنسان ... أما القسم الثَّاني من الدِّين، فإنَّه يتغيَّر ويتبدَّل بمقتضى الزَّمان والمكان... أساس دين الله، هو الأخلاق، وإشراق نور المعرفة، والفضائل الإنسانيَّة..."

ومن كلمة ألقاها يوم ٢٧ أغسطس (أب) ١٩١١ في تونون لوبان بسويسرا

- نقلا عن جريدة الأهرام:

"... ولنترك الجور والطَّغيان، ولنلتنم الثَّنام ذوي القربى بالعدل والحسان، ولنمتزج امتزاج الماء بالراح ولننَّحد اتِّحاد الأرواح، ولا نكاد ان نؤسس سياسة أعظم من سياسة الله، ولكم اسوة حسنة في الربِّ الجليل، فلا تبدِّلوا نعمة الله، وهي الألفة التَّامة في هذا السَّبيل. عليكم يا عباد الله، بترك الاختلاف، وتأسيس الائتلاف والحبِّ والإنصاف والعدل وعدم الاعتساف..."

أمّ مجالس عبد البهاء، وراسله صناديد الرّجال في العالم أمثال: الكاتب الرّوسى ليو تولستوى، والعالم السويسرى بروفيرس أوجست فورل، والمستشرق أرمنيوس قامبرى(هرمن) الأستاذ بجامعة بودابست، والأمير محمد على، والصدر الأعظم مدحت باشا زعيم الإصلاح السياسى فى تركيا، والامام محمد عبده، والاديب جبران خليل جبران، والمؤرخ والاديب السّياسى الأمير شكيب أرسلان، ورائد الصّحافة المصرىة الشّيخ على يوسف، ومفتى الدّيار المصرىة الشّيخ محمد بخيت.

وفى ليلة ٢٨ تشرين (نوفمبر) ١٩٢١ صعد عبد البهاء إلى النشأة الأخرى، عن سبعة وسبعين عاما. وتناقلت الصّحف الخبر بصورة تعبّر عن شعورها بفداحة الخسارة. فنشرت جريدة النّفير الصّادرة فى حيفا على طول صفحتها الأولى، تحت عنوان، خطب جمل، "انتقال رجل الإنسانيّة عبد البهاء عباس". ثم استرسلت بقولها:

"رزئت الإنسانيّة بانتقال أعظم ركن من أركانها، وأشهر محسن إليها، ملأ الخافقين ذكره وشده، العالم الكبير، والحكيم الشّهير، السيّد عباس البهائي".

كتبت جريدة المقطم فى ٣٠ نوفمبر ١٩٢١:
"كان رحمه الله محترما من جميع الّذين عاشروه، مهيبا كريم النّفس، متّصفا بالأخلاق السّامية، وله أتباع ومريدون معظمهم فى بلدان الغرب والولايات المتحدة...زار الفقيد القطر المصرى قبل الحرب وأقام بضاحية الزيتون، وعرف كبار المصريين وفضلاءهم، وزار بعض بلدان أوروبا وأمريكا فقبول فيها بالتّكريم، وخطب فى المحافل والمعاهد والكنائس داعيا إلى السّلام والوئام والإخاء بين البشر، والكف عن الحروب، والرّجوع إلى تعاليم الأنبياء والمرسلين..."

وقدمت التّفير في ٦ كانون (ديسمبر) وصفا لتشييع جنازته نقتطف منه فقرات موجزة لما يليق به هذا السّجل التّاريخي من ضوء على منزلة عبد البهاء في قلوب معاصريه ومعاشريه:

"طوّق النّعش فخامة المندوب {السامي} وحاشيته، وحاكم المقاطعة، ومصاف العلماء من الأعلام من علمانيين ورؤساء روحانيين، ولما وصلت مؤخرة الموكب، كان الاجتماع مهيبا لم ترى حيفا نظيره، ولما ساد السّكون وقف حضرة الأديب يوسف أفندي الخطيب وارتجل خطابا مؤثرا نذكر منه فيما يلي ما أمكنا التقاطه:

... فابكوا على الفضل والأدب، أندبوا العلم والكرم، وابكوا لأجل أنفسكم لأنكم أنتم الفاقدون، وما فقيدكم إلا راحل كريم من عالمكم الفاني إلى دار الأبد والأزل، ابكوا ساعة لأجل من بكى لأجلكم ثمانين عاما..."

وعقبه إبراهيم أفندي نصّار فقال:

"... أيها الرّاقد العظيم الكريم، أنت أحسنت إلينا وأرشدتنا وعلمتنا، عشت بيننا عظيم بكلّ ما تعنيه كلمة العظمة، وقد تفاخرنا بأعمالك وأقوالك، أنت رفعت منزلة الشّروق إلى أعالي ذروة المجد، قد أصلحت وهذبت، وأتممت السّعي فنلت اكّليل المجد..."

وتلاه حضرة صاحبّ الفضيلة الأستاذ محمد مراد، مفتي حيفا قائلا:
"... لا أودّ أن أبالغ في تأبين هذا الرّجل العظيم، فإنّ أيديهِ البيضاء في سبيل خدمة الإنسانيّة، ومآثره الغراء في عمل البرّ والإحسان لا ينكرها إلا من طمس الله على قلبه. كان عبد البهاء عظيما في جميع أدوار حياته، كان عصاميا أبيّ النّفس، شريف العواطف، سامي المبادئ، كان رضيّ الأخلاق، حسن السّيرة،

اشتهر ذكره في مشارق الأرض ومغاربها. وهو لم يحرز هذه المرتبة العالية إلا بجدّه واجتهاده، ولم ينل في القلوب تلك المنزلة العالية وذلك المكان الرفيع، إلا بمساعدته للبائس، وبإغاثته للمهوف، وبتسليته للمصاب. كان رحمه الله واقفا على دقائق الشريعة الإسلامية. كان عالما كبيرا واستاذا نحريرا...".

تلاه الأستاذ عبد الله مخلص:

"إن شمس العلم قد غربت، وبدر التّقى قد أفل، ونجم المكارم قد هوى، وعرش الفضيلة قد ثل، وطود الإحسان قد دكّ، ومعالم الهدى قد تغيّرت بانتقال هذا الرّجل الكريم من الدار الفانية إلى الدار الباقية".

ونختم هذه المقتطفات ببيتين من قصيدة ارتجالها حضرة فضيلة الشّيخ
يونس الخطيب:

حكم الإله بموت عباس البها ربّ التّقى والفضل والعرفان
كلّ الأنام بكت وطل نحيبها لفراق من هو عين كلّ زمان

ولاية أمر الله

عند صعود عبد البهاء، لم تكن الجامعة البهائيّة قد بلغت من الانتشار نحوًا يسمح بانتخاب الهيئة العليا لنظمها الإداري، بحيث يشترك في انتخابها ممثلون عن مختلف الشعوب والأجناس والثقافات في العالم، فأوصى عبد البهاء بولاية الأمر من بعده إلى حفيده الأرشد شوقي ربّاني، ليتم الخطة التي وضعها، وباشر في تنفيذها، من أجل استكمال النّظم الذي وضع أصولها بهاء الله.

ولد شوقي ربّاني بمدينة عكا في أول أيار (مارس) ١٨٩٧. بدأ تعليمه في مدارس حيفا، ثم انتقل إلى بيروت لمواصلة دراسته التي انتهت في جامعة أكسفورد. وتولى عبد البهاء تربيته وتوجيهه بنفسه منذ طفولته، ووصفه بأنه "أبدع جوهرة فريدة عصماء". كان شوقي ربّاني رجلاً مثلاً عديم النّظر، لا يحيد عن المبادئ، ولا تأخذه في الحقّ لومة لائم، ذا نظر الثّاقب، ورأي صائب، ورؤية جليّة، ومنطق سليم، وتحليل عميق. جمع إلى ذلك رفاهة الحس، ورقة المشاعر، وكثرة المهابة، وشدة التّواضع. وهو مع ذلك طلق اللسان، قويّ البيان، سلس الأسلوب، فصيح العبارة، بعيد المغزى.

تولى الأمر وهو في عنفوان الشباب، وكوّس حياته لرعاية المسؤوليّة التي تركها له عبد البهاء، وعمل على تنمية إمكانات العالم البهائيّ، وإرساخ جذور هيكله الإداري، ليقوم بتدبير شؤون جامعة عالميّة من بعده، ويحافظ على وحدتها. وبانتهاء ولايته إلى رئاسة تتمثل في هيئات منتخبة على ثلاث مستويات، المحافل الرّوحانيّة المحليّة على مستوى المدينة والقرية، والمحافل الرّوحانيّة المركزيّة على مستوى المملكة أو الجمهوريّة، وبيت العدل الأعظم على مستوى العالم.

لم تمهل المنية شوقي ربّاني ليشهد انتخاب بيت العدل الأعظم في ربيع ١٩٦٣. إذ وافاه الأجل المحتوم ليلة ٤ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٥٧، خمس سنوات قبل تأسيس أوّل رئاسة دينية جماعية، وهيئة تشريعية منتخبة بالاقتراع العام على مستوى عالمي، اشترك في انتخابها أكثر شعوب العلم، وأجناسه، وثقافته.

شهادة المنصفين

رغم ما واجهه الدّين البهائيّ من مقاومة واتّهامات، كما هي الحال عند ظهور كلّ دين، لم يعدم بعض العلماء والمفكرين الشّجاعة ليصرّحوا بالحقائق التي عرفوها عنه وعن المنادين به، نذكر هنا منها على سبيل المثال. نشرت الأهرام يوم ١٨ يونيو ١٨٩٦ مقالا يرحّج أن كاتبه الشّيخ محمد عبده، جاء فيه:

"... على أن المعروف من أحوال البهائ وبنيه الشّخصيّة، والمأثور عنهم من خلال الثّرف ومزايا الكرم والتحقّق بصفات التّهذيب والأدب، وهو غير متنازع فيه، ولا ينكره إلاّ كلّ مكابر. وحضرة ولده الأكبر عباس أفندي أشهر من أن يُعرّف بفضله، ويُنبّه عن نبله، وهو المعروف عند أعيان البلاد وأولي الأمور، وقد عرفناه رجلا ظاهر التّجابه، بادي السّراوة، فصيح اللّهجة، مهيب الطّلع، كثير الوقار والحشمة، ذا أدب في غاية الغضاضة، وخلق على جانب من الرّياضة...".

سجل الأديب والمؤرخ الأمير شكيب أرسلان في كتابه "حاضر العالم الإسلامي"، علاقته مع عبد البهاء قائلا:

"وكانت له مع هذا العاجز مراسلات متّصلة باتّصال حبّ المودّة، وعمران جانب الصّداقة، ومرارا قصّدت عكا ولا غرض لي فيها سوى الاستمتاع بأدبه الغضّ، والاعتراف من علمه الجمّ".^٧

ثمّ نوّه في نفس الكتاب بحضرة عبد البهاء:

"... كان آية من آيات الله بما جمع الله فيه معاني التّباله، ومنازع الأصالة، والمناقب العديدة التي قلّ أن ينال منها أحد مناله، أو يبلغ فيها كماله، من كرم عريض، وخلق سجيح، وشغف بالخير، وولوع بإسداء المعروف، وإغاثة الملهوف. وتعاهد المساكين

بالرّفد بدون ملل، وقضاء حاجات القاصدين بدون برم، هذا مع علوّ النّفس، وشغوف الطبع، ومضاء الهمة، ونفاذ العزيمة وسرعة خاطر، وسداد المنطق، وسعة العلم، ووفور المحكمة، وبلاغة العبارة، حتّى كأن فصاحته صوب الصّواب، واقواله فصل الخطاب، وكتاباتهِ الدّيباج المحبّر، وفصوله الوشي المنمم، يفيض بيانه جوامع كلم، وتسيل عارضته سيل عارض منسجم، ويودّ اللّبيب لو أقام العمر بمجلسه يجنى من زهر أدبه البارع، ويرد من منهل حكمته الطّيبة المشارع. استولى من المعقول على الأمد الأقصى، وأصبح في الإلهيات المثل الأعلى. وبلغ من قوة الحجّة، وأصالة الرّأي، وبُعد النّظر، الغاية التي تفتى دونها المنا، حتّى لو قال الإنسان أنّه كان أعجوبة عصره، ونادرة دهره، لما كان مبالغاً، ولو حكم بأنّه من الأفاضل الذين قلّمَا يلدهم الدّهر إلاّ في الحقب الطوال، لكان قوله سائعا...^٨

وكتب الأديب الرّوسي ليو تليستوى:

"أعطف من أعماق قلبي على الحركة الباطنية، إنّها تلقّن النّاس مبادئ الأخوة والمساواة والنّضحية بالحياة المادية في خدمة الله. إنّ التّعالم الباطنية التي جاءتنا منبعثة من الإسلام، قد تطوّرت تدريجياً من أثر تعاليم بهاء الله وهي تقدّم لنا الآن أسمى صورة من التّعالم الدّينيّة"^٩.

وكتب الشّيخ الألويسي مفتي بغداد في كتابه "نهج السّلامة في مباحث الامامة"، مكدّباً الاتّهامات الموجهة إلى قرّة العين فقال:

"... وهي ممن قلّد الباب بعد موت الرّشتي، ثم خالفته في عدّة أشياء منها التّكاليف، فقيل أنّها كانت تقول بحلّ الفروج ورفع التّكاليف بالكآبة، وأنا لم أحسّ منها بشيء من ذلك، مع أنّها حبّست في بيتي نحو شهرين، وكم من بحث جرى بيني وبينها رفعت فيه النّقية من البين..."^{١٠}.

وكتب الأستاذ على الوردى، أستاذ التاريخ بجامعة بغداد:
"إنّي أعتقد على أيّ حال، أنّ قرّة العين امرأة لا تخلو من
العبقريّة. وهي قد ظهرت في غير زمانها، أو هي سبقت زمانها
بمائة سنة على أقلّ تقدير، فهي لو كانت قد نشأت في عصرنا
هذا، أو مجتمع متقدّم حضاريًا، لكان لها شأن آخر، وربّما كانت
أعظم امرأة في القرن العشرين".^{١١}

وكتب المؤرخ العالميّ أرنولد توينبي:
"في رأيي أنّ البهائيّة بدون شكّ دين، ودين مستقلّ على قدم
المساواة مع الإسلام والمسيحية أو غيرها من الأديان المعترف
بها في العالم، فالبهائيّة ليست مذهبًا تابعًا لدين آخر، بل هي دين
منفرد بذاته، ولها نفس المكانة التي للأديان الأخرى".^{١٢}

من اثار حضرة بهاء الله

ختاما لهذا العرض السريع لبعض جوانب الدين البهائيّ نقطف في السطور التالية كلمات لحضرة بهاء الله، حتّى تُتاح الفرصة للقارئ أن يتبين بنفسه حقيقة هذا الأمر المبارك، إيماناً منا بأنّ الله قد أودع في كلّ نفس مُميّزة ما يعينها على التّعرف على الحقّ من آياته وبيّناته:

"...ثم اعلم بأنّ هذا الغلام كلّما يكون ناظرا إلى نفسه يجدها احقر الوجود، وكلما يرتدّ البصر إلى التجليات التي ظهرت منها يجدها سلطان الغيب والشهود. فسبحان الذي بعث نفسه بالحقّ وأرسله على كلّ شاهد ومشهود..."^{١٣}

"...قل إنّ الحرّية في اتباع أوامري لو أنتم من العارفين، لو أتبع الناس ما انزلناه لهم من سماء الوحي ليجدّ أنفسهم في حرّية بحتة، طوبى لمن عرف مراد الله فيما نزل من سماء مشيئته المهيمنة على العالمين. قل الحرّية التي تنفعكم إنّها في العبودية لله الحقّ، والذي وجد حلاوتها لا يبدلها بملكوت السموات والأرضين".

"... قد حرّم عليكم الرّنا واللّوط والخيانة، أن اجتنبوا يا معشر المغلّين، تالله قد خلقتم لتطهير العالم عن رجس الهوى هذا ما يأمركم به مولى الورى ان أنتم من العارفين. ومن ينسب نفسه إلى الرّحمن ويرتكب ما عمل به الشيطان، إنّهُ ليس منّي، يشهد بذلك كلّ النّواة والحصاة وكلّ الأشجار والاثمار وعن ورائها هذا اللسان الناطق الصادق الأمين".^{١٤}

"... إنّنا أمرنا الكلّ بالمعروف ونهيناهم عن المنكر، طوبى لمن أخذ أمر الله ونبذ ما سواه إنّهُ من أهل الحقّ في كتاب مبين".^{١٥}

"... إياكم يا ملأ التوحيد، لا تفرّقوا في مظاهر أمر الله ولا فيما نزل عليهم من الآيات وهذا حق التوحيد إن أنتم من الموقنين وكذلك في أفعالهم وأعمالهم وكلّ ما ظهر من عندهم ويظهر من لدنهم كلّ من عند الله وكلّ بأمره عاملين..."^{١٦}.

"... يا قوم هل تظنّون بأنّ الأمر بيدي؟ لا فونفس الله المقننر المتعالى العلىم الحكىم، فوالله لو كان الأمر بيدي ما أظهرت نفسى عليكم فى اقلّ من أن وما تكلمت بكلمة وكان الله على ذلك شهيد وعلىم..."^{١٧}.

"... إنى أنفقت روى وجسدى لله رب العالمىن ومن عرف الله لن يعرف دونه، ومن خاف الله لن يخاف سواه ولو يجمع علىه كلّ من فى الأرض أجمعىن، وما نقول إلا بما أمرت وما نتبع إلا الحقّ بحول الله وقوته وإته يجزى الصّادقىن..."

"قل يا قوم دعوا الرذائل وخذوا الفضائل، كونوا قدوة حسنة بين الناس وصحيفة يتذكر بها الأناس، من قام لخدمة الأمر له أن يصدع بالمحكة ويسعى فى إزالة الجهل عن بين البرىة، قل أن اتحدوا فى كلمتكم واتفقوا فى رأىكم واجعلوا اشراقكم أفضل من عشىكم، وغدكم أحسن من أمسكم. فضل الإنسان فى الخدمة والكمال لا فى الزينة والثروة والمال، اجعلوا أقوالكم مقدّسة عن الزىغ والهوى وأعمالكم منزّهة عن الرىب والرىاء. قل لا تصرفوا نقود أعماركم النفىسة فى المشتهىات النفسىة ولا تقصروا الأمور على منافعكم الشّخصىة، أنفقوا إذا وجدتم واصبروا إذا فقدتم إن بعد كلّ شدة رضاء ومع كلّ كدر صفاء، اجتنبوا التّكاهل والتّكاسل وتمسكوا بما ينتفع به العالم من الصّغير

والكبير والشيوخ والارامل، قل إياكم أن تزرعوا زؤان
الخصومة بين البرية وشوك الشوك في القلوب الصافية المنيرة.
"قل يا أحبّاء الله لا تعملوا ما يتكدر به صافي سلسبيل المحبة
وينقطع به عرف المودة، لعمري قد خلقتم للوداد لا للضعينة
والعناد، ليس الفخر لحبكم أنفسكم بل لحب أبناء جنسكم، وليس
الفضل لمن يحبّ الوطن بل لمن يحبّ العالم، كونوا في الطرف
عفيفا في اليد أميناً، وفي اللسان صادقا، وفي القلب متذكرا، لا
تسقطوا منزلة العلماء في البهائم ولا تصغروا قدر من يعدل بينكم
من الأمراء، اجعلوا جندكم العدل وسلاحكم العقل وشيمكم العفو
والفصل وما تفرح به أفئدة المقربين".^{١٨}

يا ابن الإنسان لو تكون ناظرا إلى الفضل ضع ما ينفعك وخذ ما
ينتفع به العباد، وان تكن ناظرا إلى العدل اختر لدونك ما تختاره
لنفسك. إن الإنسان مرّة يرفعه الخضوع إلى سماء العزة
والاقتدار، وأخرى ينزله الغرور إلى أسفل مقام الذلة
والانكسار".^{١٩}

"قد وجب على كلّ واحد منكم الاشتغال بأمر من الأمور من
الصنائع والاقتراف وأمثالها، وجعلنا اشتغالكم بها نفس العبادة
لله الحقّ... لا تضيعوا أوقاتكم بالبطالة والكسالة، واشتغلوا بما
ينتفع به أنفسكم وأنفس غيركم، كذلك قضي الأمر في هذا اللوح
الذي لاحت من أفقه شمس الحكمة والبيان. أبغض الناس عند الله
من يقعد ويطلب، تمسكوا بحبل الأسباب متوكّلين على الله مسبب
الأسباب".^{٢٠}

"... إنّ ربكم الرّحمن يحبّ أن يرى من في الأكوان كنفس
واحدة وهيكل واحد، أن اغتنموا فضل الله ورحمته في تلك الأيام

التي ما رأت عين الابداع شبهها، طوبى لمن نبذ ما عنده ابتغاء
لما عند الله نشهد أنه من الفائزين...".^{٢١}

"قل يا قوم، زينوا لسانكم بالصدق ونفوسكم بالأمانة، إياكم يا
قوم، لا تخونوا في شيء وكونوا أمناء الله بين برئته وكونوا من
المحسنين، إن الذين يرتكبون البغي والفحشاء أولئك ضلّ سعيهم
وكانوا من الخاسرين...".^{٢٢}

".... لا تخونوا في أموال الناس، كونوا أمناء بينهم، ولا تحرموا
الفقراء عمّا أتاكم الله من فضله، وإنه يجزى المنفقين ضعف ما
أنفقوا، إنه ما من إله إلا هو له الخلق والأمر يعطي من يشاء
ويمنع عن من يشاء، إنه لهو المعطي البازل العزيز الكريم...".^{٢٣}

"...كن في النعمة منقفا، وفي فقدها شاكرا، وفي الحقوق أمينا،
وفي الوجه طلقا، وللفقراء كنزا وللأغنياء ناصحا، وللمنادى
مجيبا، وفي الوعد وفيا وفي الأمور منصفا، وفي الجمع صامتا،
وفي القضاء عادلا، وللإنسان خاضعا، وفي الظلمة سراجا،
وللمهموم فرجا، وللظمان بحرا، وللمكروب ملجأ، وللمظلوم
ناصرًا وعضدا وظهرا، وفي الاعمال متقيا، وللغريب وطنا،
وللمريض شفاء، وللمستجير حصنا، وللضّير بصرا، ولمن
ضلّ صراطا، ولوجه الصدق جمالا، ولهيكل الأمانة طرازا،
ولبيت الأخلاق عرشا، ولجسد العالم روحا، ولجنود العدل راية،
ولأفق الخير نورا، وللأرض الطيبة رذاذا، ولبحر العلم فلكا،
ولسما الكرم نجما ولرأس الحكمة إكليلا...".^{٢٤}

رأس الايمان هو التقلل في القول والتكثّر في العمل ومن كان
أقواله أزيد من أعماله فاعلموا أنّ عدمه خير من وجوده وفناءه
أحسن من بقاءه...".^{٢٥}

"أصل الحكمة هو الخشية عن الله عزّ ذكره، والمخافة من
سطوته وسياطه، والوجل من مظاهر عدله وقضائه".^{٢٦}

مصادر المقتطفات

- ١- أحمد عطية. القاموس الإسلامي. جزء ٤. ص ٢٠٧. مكتبة النهضة. القاهرة ١٩٧٦.
- ٢- المرجع السابق. الجزء الأول. ص ٣١.
- ٣- نسائم الرحمن. الطبعة ٢. ص ٥. المحفل الروحاني بشمال غرب أفريقيا.
- ٤- ملا محمد علي زرندي. مثنوي. المطبعة العربية بمصر. ١٩٢٤.
- ٥- الأمير شكيب أرسلان. حاضر العالم الإسلامي. المجلد ٢. الجزء ٣. ص ٢٥٨.
- ٦- محمود خير الدين الحلبي. عشر سنوات حول العالم. الجزء ١. ص ٤١.
- ٧- مكاتيب عبد البهاء. مجلد ١. ص ١١٧-١١٨. مطبعة كردستان. مصر. ١٩١٠.
- ٨- الأمير شكيب أرسلان. المرجع السابق. ٢٥٩.
- ٩- الأمير شكيب أرسلان. المرجع السابق. ص ٢٥٨.
- ١٠- الإمام الألوسي. نهج السلامة في مباحث الإمامة. أورده شهاب زهر ائي. في فقراتي أزيك نامه. ص ٧.
- ١١- الدكتور علي الورد. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق. الجزء ٢. ص ١٩٠.
- ١٢- أرنولد توينبي. **Information Folder, Bahá'í Publications, Australia**.
- ١٣- منتخباتي از آثار حضرة بهاء الله. الطبعة ١. ص ٧٣. لجنة نشر - لانكهاي. ١٩٨٤.
- ١٤- "العفة والتقديس". ص ٢٢. دار النشر البهائية في البرازيل. ١٩٩٠.
- ١٥- لنالي الحكمة. مجلد ١. ص ١٧٢. دار النشر البهائية في البرازيل. ١٩٨٦.
- ١٦- منتخباتي از آثار حضرة بهاء الله. الطبعة ١. ص ٤٦. لجنة نشر آثار أمري فارسي عربي - لانكهاي. ١٩٨٤.
- ١٧- المرجع السابق ص ٦٥.
- ١٨- مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله. ص ١١٧-١١٩. دار النشر البهائية. بلجيكا. ١٩٨٠.
- ١٩- المرجع السابق. ص ٨٢.
- ٢٠- المرجع السابق. ص ٤٢.
- ٢١- منتخباتي از آثار حضرة بهاء الله. الطبعة ١. ص ١٣٩. لجنة نشر آثار أمري فارسي عربي - لانكهاي. ١٩٨٤.
- ٢٢- المرجع السابق ص ١٩٠.
- ٢٣- المرجع السابق ص ١٧٨.
- ٢٤- المرجع السابق ص ١٨٢.
- ٢٥- مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله. ص ١٣٥. دار النشر البهائية. بلجيكا. ١٩٨٠.
- ٢٦- المرجع السابق. ص ١٣٣.